

قبس من نور الصحابة والتابعين

د. محمود جيلاني

www.drgilany.com



أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةُ

المقدمة العامة للكتيبات

هذه المحاولة في تلخيص تاريخ الشخصيات المميزة عبر تاريخنا الإسلامي أخذت منى سنين طويلة حتى أصل إلى هذه النتيجة.

ومن وجهة نظرى تتميز هذه الكتيبات بما يلى:

- 1- جميع الأحاديث النبوية الواردة فى الكتيبات تم تخريجها للتأكد من صحتها. مع تجنب ذكر أي رواية غير موثقة.
- 2- التركيز فقط على الجوانب الإيمانية والخلقية في الشخصية.
- 3- التعليقات فى الحدود الدنيا، منعا للتطويل لكنى أضفت كلمة أخيرة في نهاية معظم الشخصيات للحديث عن أبرز سمة.
- 4- اللغة السهلة في الكتابة لتتناسب عموم الناس.
- 5- الحجم الصغير بحيث لا يستغرق قراءته أكثر من 20 دقيقة.

في النهاية **أؤكد على أنى لست عالم دين، ولكنى مسلم عادى يحاول خدمة دينه** بعرض هذه النماذج من تاريخنا بالصورة اللائقة دون تزويق أو تزوير، بهدف الاقتداء المستتير بهذه الشخصيات.

جميع الكتيبات تجدها في موقعى www.drgilany.com

هذه الكتيبات وقف لله تعالى على روح والدتى رحمها الله.

المحتويات

- 1.....المقدمة العامة الكتيبات
- 4.....نسب السيدة خديجة
- 6.....أزواج السيدة خديجة وأولادها قبل النبي
- 7.....زواج السيدة خديجة من النبي
- 9.....هل كان النبي فقيراً؟
- 10.....بدء نزول الوحي وموقف السيدة خديجة
- 13.....حصار شعب بني هاشم
- 16.....مناقب السيدة خديجة
- 19.....أبناء النبي وبناته من السيدة خديجة
- 25.....رعاية خديجة لعلى والزبير وزيد
- 26.....وفاء النبي لخديجة
- 29.....وفاة السيدة خديجة
- 30.....كلمة أخيرة (الزوجة الصالحة)

نسب السيدة خديجة

السيدة خديجة هي أولى زوجات النبي ﷺ، وأمُّ أولاده، وأوَّل من أسلم بعد سيدنا محمد على الإطلاق، وأوَّل من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والنسب غالباً يكون عنصراً أساسياً في تكوين شخصية الإنسان، فهو يتأثر بالبيئة التي نشأ فيها، والشخصيات التي تعامل معها منذ الصغر، ومن هنا فالتعرف على نسب الشخص يساهم في كثير من الأحيان في فهم شخصيته بدرجة كبيرة.

وأم المؤمنين خديجة هي خديجة بنت خُوَيلِد بن أسد بن عبد العُزَري بن قُصي بن كلاب، يلتقي نسبها مع النبي ﷺ في الجدِّ الخامس؛ قُصي بن كلاب.

وأم السيدة خديجة هي فاطمة بنت زائدة القرشية، وجدتها هالة بنت عبد مناف بن قصي بن كلاب (شقيقة جد النبي هاشم بن عبد مناف). ومن عمَّاتها أم حبيب بنت أسد وهي جدة السيدة آمنة بنت وهب أم النبي، ومن ثمَّ فالسيدة خديجة يلتقي نسبها بنسب النبي صلى الله عليه وسلم من جهة الأم والأب لكليهما، ولذا نقول: إنها أقرب نسائه إليه نسباً. (راجع مخطط الأنساب في نهاية هذا الكتيب).

ووالدها خُوَيْلِد بن أَسَد، كان زعيم بني أَسَد (وهم بطن من بطون قريش وهم يختلفون عن قبيلة بني أَسَد المضربية التي كانت تسكن في نجد)، وإليه ينتهي الفضل والكرم والسيادة بين قومه.

وكان أبوها من المشاركين في الوفد الذي أرسلته قريش إلى اليمن برئاسة عبد المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم لتهنئة الملك العربي اليمنى سيف بن ذي يزن الذي انتصر على الأحباش وطردهم من اليمن، وذلك بعد عام الفيل بسنتين.

وكان جدها أَسَد بن عبد العزى أحد كبار الموقعين على حلف الفضول الذي تعاهد فيه بنو هاشم وبنو تيم وبنو زهرة على أن: (لا يظلم أحد في مكة إلا ردوا ظلمه)، وقد حضر الرسول ﷺ هذا الحلف وعمره 20 سنة، وقال عنه: **قد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً، لو دُعيت به في الإسلام لأجبت.** صحيح ابن حبان.

كما كان للسيدة خديجة أخت واحدة هي هالة بنت خويلد (أم أبي العاص بن الربيع الذي تزوج زينب بنت رسول الله).

وللسيدة خديجة عدة أشقاء منهم العوام بن خويلد (والد الزبير بن العوام)، ونوفل بن خويلد (المعروف بأَسَد قريش وقد قُتل مع المشركين في غزوة بدر)، ومن أعمامها عمرو بن أَسَد (الذى زوجها لرسول الله وكان سيد بني أَسَد بعد وفاة والد خديجة)، ونوفل بن أَسَد (والد ورقة بن نوفل الذى بشر النبي بالنبوة).

أزواج السيدة خديجة وأولادها قبل النبي

كانت أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها قد تزوجت قبل زواجها بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرتين، ولها من زوجها أربعة أبناء، فتزوجت عتيق بن عابد بن مخزوم، وأنجبت منه ابنتها هند التي أدركت الإسلام وأسلمت. وقد تزوجت ابنتها هند من صيفي بن أمية بن عائذ ، فولدت له محمد بن صيفي. وأولاد محمد بن صيفي (أحفاد هند بنت السيدة خديجة) **يقال لهم بنو الطاهرة**، لمكانة السيدة خديجة، فقد انقطع نسل السيدة خديجة من كل أولادها إلا من فرعين اثنين: فرع السيدة فاطمة (وهم آل البيت الكرام)، وفرع ابنتها هند وأحفادها، وهم بنو الطاهرة كما ذكرنا. فلما توفي زوجها عتيق تزوجت السيدة خديجة من أبي هالة بن زرارة الأسدي، فأنجبت منه هند وهالة - رجلين وليسا بنتين - **وهما أخوال الحسن والحسين**، ففاطمة الزهراء وأخواتها، أخوات لهند وهالة من الأم. فأما ابنتها الأول هند فكان لايزال صغيراً عند زواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خديجة، فظل عند أمه خديجة بعد زواجها، فكان ربيب رسول الله. وكان هند فصيحاً بليغاً، وصف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث مشهور فأحسن وأتقن، وقد قُتل مع علي بن أبي طالب يوم موقعة الجمل. وأما ابنتها الثانية من أبي هالة فهو هالة بن أبي هالة، أدرك الإسلام، وأسلم، وهو معدود في الصحابة.

زواج السيدة خديجة من النبي

كانت خديجة ذات جاهٍ، ومالٍ، وجمالٍ، فسعى الكثير من رجال قريش وأشرفها لخطبتها، إلا أنها رفضت الزواج من أحدٍ منهم بعد وفاة زوجها، ثم أكرمها الله عزَّ وجلَّ بالزواج من سيدنا محمدٍ ﷺ.

أما عن سبب زواجها فقد كانت خديجة رضى الله عنها امرأةً تاجرةً تستأجر الرجال فترسلهم إلى بلاد الشام بمالها الذى ورثت معظمه من زوجها قبل رسول الله، وقد سمعت عن كرم أخلاق رسول الله وصدق حديثه وأمانته فعرضت عليه أن يخرج في مالها تاجراً إلى الشام على أن تعطيه ضعف ما تعطي غيره من التجار، فقبل ﷺ ذلك.

وقيل بل إن أبا طالب عم الرسول ﷺ هو من أشار عليه بالعمل في تجارة خديجة وقال له: يَا بَنَ أَخِي، أَنَا رَجُلٌ لَا مَالَ لِي، وَهَذِهِ عَيْرُ قَوْمِكَ قَدْ حَصَرَ خُرُوجُهَا إِلَى الشَّامِ، وَخَدِجَةُ ابْنَةُ خُوَيْلِدٍ تَبَعَتْ رِجَالًا مِنْ قَوْمِكَ فِي تِجَارَتِهَا، فَلَوْ تَعَرَّضْتَ لَهَا. **وَبَلَغَ خَدِجَةَ ذَلِكَ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ، وَأَضْعَفَتْ لَهُ مَا كَانَتْ تُعْطِي غَيْرَهُ، وَذَلِكَ لَمَا اشتهر من أمانته وخلقته ﷺ.**

وخرج مع الرسول في هذه الرحلة إلى الشام غلامٌ لخديجة اسمه ميسرة (على الأرجح فإن ميسرة مات قبل البعثة حيث لم يرد ذكره بعد ذلك في السيرة ، علماً بأن ابن عساكر عدّه في الصحابة)، فباع سيدنا محمد سلعته وبيع ضعف ما كانوا يربحون، ورجع إلى مكة، فحدّث

ميسرة خديجة رضى الله عنها عن أخلاق رسول الله وأمانته وأخبرها بما ربحوا في تجارتهم فسُرَّت بذلك ورغبت في الزواج من رسول الله.

فأرسلت خديجة إليه صديقتها نفيسة بنت أمية لتلقت نظره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الزواج من خديجة، فقالت له: يا محمد، ما يمنعك أن تتزوج؟ فقال: ما في يدي شيء، فقلت: فإن كُفيت ودُعيت إلى المال والجمال والكفاءة؟ قال: ومن؟ قالت: خديجة. فكلم رسول الله أعمامه أبا طالب وحمزة والعبَّاس فذهبوا إلى عم خديجة عمرو بن أسد، الذى رحب به وقال: **"محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يخطب خديجة بنت خويلد، هذا الفحل لا يُفدَع أنفه"!!!** أي هو الكفاء الكريم الذي لا يُعاب ولا يُرد. وقد تزوّج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خديجة رضى الله عنها قبل نزول الوحي عليه بخمس عشرة سنة تقريباً ، وعمره حين تزوجها خمساً وعشرين سنة.

وقيل إن عمر السيدة خديجة وقتها كان 40 عاماً ، وقيل 35 عاماً، وقيل 30 عاماً فقط عند زواجها من رسول الله، **وفى رأيي أن الأقرب للصواب أن عمرها كان أقل من 35 عاماً**، فقد أنجبت السيدة خديجة ابنها عبد الله الملقب بالطاهر بعد البعثة (أي بعد أكثر من 15 سنة من زواجها بالنبي)، وغالبا كان عمرها وقت ولادته أقل من 50 عاماً، فهذا هو الشائع في سن الإنجاب بين النساء، ومن هنا فأنا أرجح أن عمرها كان أقل من 35 عاماً عند زواجها من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هل كان النبي فقيراً؟

يرى الفخر الرازي صاحب التفسير الكبير، والقرطبي في تفسيره المسمى الجامع لأحكام القرآن أن المقصود في قوله تعالى ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ أي وجدك فقيراً لا مال لك، فأغناك بخديجة.

ولا شك أن أحد مصادر كسب النبي صلى الله عليه وسلم هو تجارته بالمال الذي ورثه عن خديجة وهو مال وفير، وللأسف فإن البعض يصر على أن المسلم الحق هو من يحرم نفسه من متع الدنيا ليكون فقيراً مثل نبيه محمد الذي مات ودرعه مرهونة عند يهودى (وهو حديث له تفسيرات متعددة ليس هنا مجال سردها)، وكأن الإسلام دين الفقر.

وهذا الكلام لا يصح، فالنبي لم يكن فقيراً بنص القرآن: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾، والفقر وعد الشيطان بنص القرآن: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُّكُمْ أَلْفَقْرًا وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقد ورث الرسول مالاً واسعاً من خديجة، وجعل الله له نصيباً في خمس الغنائم والأففال، (هذا كله إضافة إلى ميراثه من أبيه وأمه)، فأغناه الله عن كل الناس فلا يصح أن يوصف بأنه كان فقيراً، ولو لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم واسع الإنفاق على الفقراء وذوى الحاجة لكان أغنى الناس لتعدد مصادر دخله، **و لم يكن الرسول مُحِبًّا للفقير ، ولا كارهاً للغنى، بل كان ثرياً زاهداً، ولم يكن فقيراً فاقداً.**

بدء نزول الوحي وموقف السيدة خديجة

عظمة شخصية السيدة خديجة تبدو واضحة في مواقفها الداعمة لرسول الله ﷺ عند بدء نزول الوحي، فمثل هذا الحدث الجلل ليس له سابقة حتى يمكن مثلاً لامرأة ما أن تتأسى بغيرها في التعامل معه، ومن ثم فالرصانة والتعقل والحكمة في تصرفات السيدة خديجة في هذه الفترة آيات دالة على أنها **"سيدة كاملة"** كما وصفها رسول الله حين عد من كمل من النساء فذكر منهن مريم بنت عمران، وآسيه امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت رسول الله، ولو لم يكن للسيدة خديجة موقف سوى موقفها عند بدء نزول الوحي لكفى لإثبات أنها فعلاً امرأة كاملة، موفورة العقل، عظيمة الحكمة، تفيض طيبة وحناناً .

فقد روى عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: كَانَ أَوَّلَ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حَبَبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّنُ فِيهِ - أَي يَتَعَبَّدُ فِيهِ - اللَّيَالِي الْكَثِيرَةَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَرَوَّدُ لِمِثْلِهَا. **صحيح البخاري**

حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ، فَقَالَ: أَقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، قَالَ: فَأَخَذَنِي، فَضَمَنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: أَقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، قَالَ: فَأَخَذَنِي، فَضَمَنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: أَقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ،

فَأَخَذَنِي، فضمنى الثالثةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي (وأظن أن الغرض من عملية الضم هذه تنبيه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أنه في يقظة وليس نائماً)، فَقَالَ: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾

فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يرتجف، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: زَمَلُونِي زَمَلُونِي، فزَمَلُوهُ (غطوه بالفراش) حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، ثُمَّ قَالَ لِخَدِيجَةَ: أَيُّ خَدِيجَةَ، مَا لِي؟ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، ثم قَالَ لَهَا: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ:

كَلَّا، أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ، لَا يُخْرِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، وَاللَّهِ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحْمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ.

فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً تَنْصَرَفَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أَيُّ عَمِّ (كَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، لذا كانت تقول له يا عم رغم أنه ابن عمها وليس عمها)، اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: يَا ابْنَ أَخِي، مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ خَبَرَ مَا رَأَاهُ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعًا (شاباً قوياً)، يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْ مُخْرِجِي هُمْ؟

قَالَ وَرَقَّةُ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا حِثَّتْ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي
يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثم لم يلبث ورقة ابن عم خديجة أن توفي
قبل ظهور الإسلام فهو معدود في المسلمين.

وكانت الأيام الأولى في بدايات الوحي شديدة الصعوبة على نفسية
رسول الله ﷺ، ففي الحديث: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا
مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءِ جَالِسٌ عَلَيَّ
كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ففترقت منه رُعبًا، فَرَجَعْتُ (إلى خديجة)
فَقُلْتُ: زَمَلُونِي زَمَلُونِي، فَدَثَرُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ ۝١﴾

﴿فَرَأَيْتَ لِقَاءِ إِبْرَاهِيمَ ۝٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهَّرَ ﴿٤﴾ وَالرُّجُزَ فَأَهْمَجْرَ ﴿٥﴾ ﴿رواه البخاري﴾

وظلت خديجة منذ هذه اللحظة التاريخية السند الأقوى لرسول الله،
ومما يدل على ذلك ما رواه عفيف بن عمرو، وهو أحد الصحابة فقد
حكى قصة حدثت معه قبل إسلامه فيقول: كنت رجلاً تاجراً، وكنت
صديقاً للعباس بن عبد المطلب في الجاهلية فقدمت لتجارة فنزلت
على العباس بن عبد المطلب، فجاء رجل حين مالت الشمس، فقام
يصلي، ثم جاءت امرأة فقامت تصلي معه، ثم جاء غلام فقام يصلي
معهما فقلت للعباس: من هذا؟ فقال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد
المطلب ابن أخي، يزعم أنه نبي، ولم يتابعه على أمره غير هذه المرأة
وهذا الغلام، وهذا المرأة خديجة بنت خويلد امرأته وهذا الغلام ابن
عمه علي بن أبي طالب. صحيح الحاكم.

حصار شعب بني هاشم

لما رأت قريش أن أمر الرسول يعلو، أجمعوا على أن يحاصروا بني هاشم وبني عبد المطلب، فلا يناكحُوهم ولا يُبايعُوهم حتى يُسلمُوا إليهم النبي ﷺ، وكتبوا بذلك صحيفة، وعلقوها في سقف الكعبة، فأنحاز بنو هاشم وبنو المطلب - مؤمنهم وكافرهم - إلى رسول الله في الشعب، إلا أبا لهب عم النبي، فإنه أيد قريشاً ضد رسول الله، وضد بني هاشم وبني المطلب.

وخبس الرسول ومن معه في شعب أبي طالب نحو ثلاث سنين (الشعب مكان ضيق بين جبلين)، حتى بلغهم الجهد. يقول الصحابي عتبة بن غزوان رضي الله عنه: «لَقَدْ رَأَيْتَنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا... رواه مسلم.

وعندما فُرض الحصار على بني هاشم، تركت خديجة قبيلتها بني أسد أهل القوة والمنعة، وقررت أن تلتحق بزوجها سيدنا محمد ومن معه من بني هاشم لتعاني مع النبي ومع المسلمين ما يعانونه من جوع وضعف. وكانت هناك محاولات من أبناء إختوها لتوصيل طعام لها، وفي سيرة ابن هشام أن أبا جهل لقي حكيم بن حزام (ابن شقيق خديجة)، ومعه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة بنت خويلد، وهي عند رسول الله في الشعب، فتعلق به أبو جهل وقال: أتذهب بالطعام إلى بني هاشم؟ والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة، فجاءه أبو

البختري بن هشام بن الحارث بن أسد (كان مشركاً لكنه من عشيرة خديجة فأخذته الحمية والمروءة للدفاع عنها رغم أنها على غير دينه) فقال لأبي جهل: مالك وله؟ طعام كان لعمته عنده بعثت إليه فيه أفتمنعه أن يأتيها بطعامها؟ خل سبيل الرجل!!، فأبى أبو جهل ثم تشاجرا، فضربه أبو البختري فشجه، ووطئه ووطاً شديداً.

وقد رد الرسول جميلهما بعد ذلك، فأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل يوم حنين، كما رد جميل أبي البختري بأن نهى عن قتله يوم بدر فقال: ومن لقي أبا البختري بن هشام فلا يقتله، فإنه خرج مستكرها.

ويروى أن النبي زمن الحصار دخل على خديجة وهو مغموم، فقالت له: ما لك؟، فقال: الزمان زمان قحط فإن أنا بذلت المال ينفذ مالك فأستحي منك، وإن لم أبذل أخاف الله، فدعت خديجة قريشاً فأخرجت دنانير وصبتها حتى بلغت مبلغاً لا يبصره من كان جالساً أمامه لكثرة المال، ثم قالت:

اشهدوا أن هذا المال ماله إن شاء فرقه، وإن شاء أمسكه.

وهذه القصة وإن لم أجد لها سنداً، فليس بغريب ما ورد فيها على خديجة رضي الله عنها، وقد فعلت ما هو أعظم من ذلك، حين دخلت معه الشعب فتركت مالها، واختارت مشاركته صلى الله عليه وسلم لما هو فيه من ضيق العيش، حتى أكلوا ورق الشجر، فاستحقت أن تكون سيدة

نساء العالمين وقد أراد النبي أن يرد بعض جميل خديجة فكان يكرم كل من له صلة بخديجة بعد ذلك وحتى وفاته.

وكانت قريش في ذلك الحصار بين راض وكاره، فسعى في نقض الصحيفة من كان كارها لها، وكان ممن سعى في نقض هذه الصحيفة الظالمة المُطعم بن عدي وجماعة من قريش فأجابوه إلى ذلك، ثم أطلع الله رسوله على أمر صحيفتهم المعلقة داخل الكعبة، وأنه أرسل عليها حشرة فأكلت جميع ما فيها من جور وقطيعة وظلم إلا نكر الله عز وجل، فأخبر النبي بذلك عمه أبا طالب، فخرج إلى قريش فأخبرهم أن ابن أخيه قد قال كذا وكذا، فإن كان كاذباً خيلنا بينكم وبينه، وإن كان صادقاً رجعتم عن قطيعتنا وظلمنا، قالوا: قد أنصفت، فأنزلوا الصحيفة

فوجدوا أن حشرة الأرضة أكلتها إلا كلمتين فقط هما: "باسمك اللهم".

فلما رأوا أن الأمر كما أخبر به رسول الله ازدادوا كفراً إلى كفرهم، لكن العقلاء منهم أجبروا الباقيين على السماح لرسول الله ومن معه بالخروج من هذا الحصار.

وكان الرسول يذكر المطعم بن عدي بالخير بسبب هذا الموقف وبسبب موقفه أيضاً يوم عودته صلى الله عليه وسلم من الطائف (راجع كتيب سعد بن عبادة لتفصيل هذا الموقف)، وقال صلى الله عليه وسلم وقد نظر للأسرى من المشركين يوم بدر فقال: لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء المنتنى (الأسرى) لتركتهم له **رواه البخاري**.

مناقب السيدة خديجة

- ❖ من الملفت أن السيدة **خديجة كانت تُلقَّب في الجاهليَّة بـ "الطَّاهرة"** في ظل مجتمعٍ مليءٍ بالفواحش والبغي، وهذا يدل على أنها بلغت مبلغاً من العفة والطَّهارة حتى لُقِّبت بهذا اللقب تماماً كما كان لقب رسول الله ﷺ بـ **"الصَّادق الأمين"** في ذات البيئة التي قلَّما تجد فيها رجلاً متحلياً بمثل هذه الصفات.
- ❖ كما أنه من الملفت ألا نجد في الروايات التاريخية امرأة أخرى في نفس هذه الفترة الزمنية تتولى شئون تجارتها بنفسها كما كانت تفعل السيدة خديجة، مما يدل على كمال عقلها وتميزها أيضاً.
- ❖ ولم يتزوج عليها النبي ﷺ حتى ماتت، وهذه الفضيلة انفردت بها السيدة خديجة عن سائر أمهات المؤمنين. فعن عائشة قالت: لم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم على خديجة حتى ماتت **رواه مسلم**، وهي مدة تقرب من خمسة وعشرين عاماً، ومع طول المدة فقد صان الرسول قلبها من الغيرة ومن نكد الضرائر.
- ❖ وقد تربعت خديجة رضى الله عنها على قلب رسول الله ﷺ فكانت من أحب نسائه إليه، فوقع الغيرة منها في قلب عائشة رضى الله عنها على الرغم من أنها لم تدركها، وفي ذلك روى **الإمام مسلم في صحيحه**: (ما غرْتُ على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة وإني لم أدركها، قالت: وكان رسول

اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ، فَيَقُولُ: أَرْسَلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ قَالَتْ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ خَدِيجَةَ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا**. رواه مسلم

❖ وقد قرن رسول الله بينها وبين مريم بنت عمران في الخيرية، ففي الحديث الذي رواه علي بن أبي طالب قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: " خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ " رواه البخاري ومسلم

❖ وقد بشرها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياتها بأعلى الدرجات في الجنة، ففي الحديث أتى جبريل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ، مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ..

فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا، وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ. رواه الشيخان

وكان رد خديجة على هذه التحية العظيمة من الله سبحانه وتعالى ومن جبريل عليه السلام ردا ذكياً ملفتاً ، إذ قالت:

اللَّهُ السَّلَامُ، وَعَلَى جَبْرِيلَ السَّلَامِ.

ويقول العلامة ابن حجر في كتابه " فتح الباري " تعليقا على هذا الرد: كانت خديجة فقيهة تفهم أن السلام اسم الله، يُطلب منه ولا

يُرد عليه، فلم تقل في الرد على سلام الله لها مثلاً: "وعليه السلام"، وإنما قالت: الله السلام وعلى جبريل السلام.

وفى تبشير خديجة ببيت في الجنة من قصب - لؤلؤ مجوف واسع كالقصر المنيف - إشارة إلى أنها حازت قصب السبق إلى الإيمان، وكون هذا البيت في الجنة لا صخب فيه ولا نصب (لا تعب فيه)؛ لأنها لم ترفع صوتها على النبي ﷺ ولم تتعبه يوماً من الدهر، فلم تصخب عليه يوماً ولا آذته أبداً.

ويقول ابن حجر في شرح هذا الحديث: لما دعا الرسول ﷺ إلى الإسلام أجابت خديجة طوعاً، فلم تحوجه إلى رفع صوت، ولا منازعة، ولا تعب في ذلك؛ بل أزالته عنه كل نصب، وأنسته من كل وحشة، وهونت عليه كل عسير؛ فناسب أن يكون منزلها الذي بشرها به ربها بالصفة المقابلة لفعلها.



أبناء النبي وبناته من السيدة خديجة

أنجبت السيدة خديجة رضى الله عنها للنبي ﷺ كل أولاده إلا ابنه إبراهيم الذي أنجبته السيدة مارية القبطية في أواخر البعثة النبوية، وأولاد النبي من السيدة خديجة هم:

❖ القاسم: وهو أول أولاد الرسول ﷺ ولادةً ووفاءً؛ فقد تُوفي صغيراً، وكان الرسول يُكنى به فيقال للرسول أبو القاسم، وورد أنه تُوفي في مكة، إلا أنه لم يُذكر إن كان تُوفي قبل البعثة، أم بعدها.

❖ عبد الله: وقد وُلِد بعد البعثة؛ ولذلك لُقِب بالطاهر والطيب، وتُوفي أيضاً وهو صغيرٌ. ولذا شنع الكفار على الرسول فوصفوه بالأبتر أي الذى لا يبقى له نسل فرد الله عن نبيه وقال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ أي إن مبغضك هو المقطوع ذكره.

وقد رأينا كيف أن كل من هجا النبي أو استهزئ به كيف ينتهى أمره، وقد ذكرت هذه الآية حين ظهرت أزمة الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم، فقلت في نفسي هذا الرسام المبغض للنبي أساء إليه فكم فردا يعرف هذا الرسام المسئ؟ لقد انقطع ذكره ولا يكاد يعرفه أحد، وعلى العكس من ذلك كم مليوناً ذكروا الرسول ورفعوا ذكره، وصدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ !! أي إن مبغضك هو المقطوع ذكره.

❖ زينب: وهي كُبرى بنات النبي ﷺ، تزوّجت من ابن خالتها أبي العاص بن الربيع، ابن هالة بنت خويلد وأنجبت منه علياً وأمّامة (تزوجها الإمام عليّ بعد وفاة فاطمة)، وقد أسلمت زينب قبل أبي العاص، فحاول المشركون كثيراً مع أبي العاص ليجعلوه يطلق زينب فرفض حتى بعد أن فرق بينهما الإسلام، فقالوا: فارق صاحبك ونحن نزوجك بأي امرأة من قريش شئت، قال: لا والله لا أفارق صاحبتني أبداً، كما رفض أن يتزوج عليها رغم التفريق بينهما، وكان الرسول ﷺ يحفظ له ذلك، وكان يثنى عليه ويقول: **إِنِّي أَنْكَحْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ فَحَدَّثَنِي فَصَدَّقَنِي، وَوَعَدَنِي فَوَفَّى لِي.** رواه البخاري ومسلم

وقد أسلم أبو العاص قبل فتح مكة بقليل، وكان قد خرج إلى الشام في تجارة له بلغت مائة بعير، فلما قفل راجعاً إلى مكة برزت له سرية من سرايا الرسول ﷺ قريباً من المدينة، فأخذت العير وأسرت الرجال، ولكن أبا العاص أفلت منهم فلم يظفروا به. ثم دخل المدينة ليلاً خائفاً يترقب، حتى وصل إلى زينب، واستجار بها فأجارته. فلما خرج الرسول ﷺ لصلاة الفجر، واستوى قائماً في المحراب، صرخت زينب من صُفة النساء بالمسجد وقالت:

"أيها الناس، أنا زينب بنت محمد، وقد أجزتُ أبا العاص"

فلما سلم النبي من الصلاة، التفت إلى الناس وقال: هل سمعتم ما سمعت؟! قالوا: نعم يا رسول الله. فقال ﷺ: والذي نفسي بيده ما علمتُ بشيء من ذلك حتى سمعتُ ما سمعتموه، وإنه يُجير من المسلمين أديانهم، ثم انصرف إلى بيته، وقال لابنته: أكرمي مثوى أبي العاص، ولكن اعلمي أنك لا تحلين له. وكان وفاء النبي ﷺ لذكرى خديجة وكل ما يتصل بها لا ينقطع، ومعلوم أن أبا العاص هو ابن أخت خديجة وزوج ابنته، فدعا رجال السرية التي أخذت العير وأسرت الرجال وقال لهم:

إن هذا الرجل (يقصد أبا العاص) منا حيث قد علمتم، وقد أخذتم ماله، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له، كان ما نخب، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم، وأنتم به أحق.

فقالوا: "بل نرد عليه ماله يا رسول الله. فلما جاء لأخذ ماله قالوا له: "يا أبا العاص، إنك في شرف من قريش، وأنت صهر رسول الله، فهل لك أن تُسلم، ونحن ننزل لك عن هذا المال كله فتتعم بما معك من أموال أهل مكة وتبقى معنا في المدينة؟"، فقال:

"بئس ما دعوتموني أن أبدأ ديني الجديد بالغدر."

ومضى أبو العاص بالعير وما عليها إلى مكة فلما بلغها أدى لكل ذي حق حقه، ثم قال: "يا معشر قريش هل بقي لأحد منكم عندي

مال لم يأخذه؟". قالوا: "لا، وجزاك الله عنا خيراً، فقد وجدناك وفيّاً كريماً". قال: "أما وإنّي قد وفيت لكم حقوقكم، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله... والله ما منعتني من الإسلام عند محمد في المدينة إلا خوفاً أن تظنوا أنني إنما أردتُ أن أكل أموالكم... ثم خرج حتى قدم على رسول الله - - فأكرم وفادته، ورد الرسول إليه زوجته بعد ستة أعوام على العقد الأول، **المستدرك على الصحيحين** ثم تُوفيت زينب بعد ذلك بقليل في السنة الثامنة من الهجرة.

❖ رقية: وُلِدَت حين بلغ الرسول ﷺ ثلاثاً وثلاثين سنةً من عمره، وقد تزوّجت من عتبة بن أبي لهب، إلا أنه فارقها قبل الدخول بها بعد نزول قول الله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾، فتزوّجها عثمان بن عفّان، وهاجرت معه إلى الحبشة، وأنجبت منه عبد الله، وكُتِبَ به، ومات عبد الله بعد أن بلغ العامين، كما هاجرت رقية إلى المدينة المنورة، وتُوفيت في شهر رمضان أثناء غزوة بدر وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم عثمان يومها بالتخلف عن الخروج معه للغزوة ليرعاها في مرض موتها.

❖ أم كلثوم: أسلمت أم كلثوم وبايعت رسول الله، وهاجرت إلى المدينة، وقد تزوّجت من عثمان بن عفّان في السنة الثالثة للهجرة بعد وفاة أختها رقية، وكان عُتَيْبَةُ بن أبي لهب قد طَلَّقَهَا قبل

الدخول بها، ولم تتجب من عثمان، وتُوِّفِيَتْ في شهر شعبان من السنة التاسعة للهجرة بعد وفاة شقيقتها زينب الكبرى بشهور.

❖ فاطمة: وهي صُغرى بنات الرسول ﷺ، وهي الوحيدة التي ينتهي نسب أي فرد من العترة المحمدية من آل البيت الآن وإلى قيام الساعة إليها، فقد انقطع نسل النبي من كل أولاده إلا من فاطمة، ولذا فهي مبدلة مكرومة عند كل طوائف المسلمين بلا استثناء. وُلِدَتْ فاطمة قبل البعثة بخمس سنين، وتزوَّجت من علي ابن أبي طالب في السنة الثانية للهجرة بعد غزوة بدر، وسميت فاطمة البتول (وتعنى المنقطعة النظير)، كما قال ابن حجر العسقلاني في الفتح لانقطاعها (سبقها وتميزها) عن نظرائها في الحسن والشرف.

وأنجبت فاطمة من الإمام عليّ كرم الله وجهه أربعة من الأبناء هم: الحسن، والحسين وهما سيّدا شباب أهل الجنة **صحيح الترمذى**، وأم كلثوم (التي تزوجها عمر بن الخطاب)، وزينب الكبرى (التي تسمى عقيلة بنى هاشم، أى المرأة الكريمة النفيسة، فهي أكثر بنى هاشم تحملاً للشدائد والمصائب؛ فقد شهدت وفاة النبي، ووفاة أمها فاطمة الزهراء، واستشهاد أبيها الإمام علي، ثم حضرت يوم كربلاء وشهدت بعينها مقتل شقيقها سيدنا الحسين، وقد قتل معه ولديها، و70 آخرين من بنى هاشم).

والمصريون يعتقدون أن السيدة زينب بنت فاطمة الزهراء دفنت في مصر، ولها بمصر مسجد وحى مشهور يعرف بحى السيدة زينب، وإذا قيل لقب "السيدة" منفرداً في مصر فالمقصود به السيدة زينب، كما يحتفل المصريون بمولدها كل عام في الخامس من شهر جمادى الأولى وهو احتفال مشهود يحضره الملايين كل عام ويعرف بمولد السيدة زينب. علماً بأن أهل الشام يعتقدون أيضاً أنها دفنت بدمشق، ولها هناك مسجد وحى كبير، يسمى أيضاً بحى السيدة زينب بدمشق. فالله أعلم.



مسجد السيدة زينب بالقاهرة (علوى) و بدمشق (الصورة الثانية)

رعاية خديجة لعلى والزبير وزيد

وبالإضافة إلى أولاد السيدة خديجة من رسول الله فقد ربت أيضاً ثلاثاً من عمَد الإسلام وهم:

1- على بن أبي طالب، فقد نشأ في حجر النبي ﷺ، وقامت السيدة خديجة برعايته.

2- الزبير بن العوام، فعندما مات العوام بن خويلد، شقيق السيدة خديجة، خلف وراءه الزبير وهو ابن سنتين، فقررت خديجة أن تكفله وترعاه، فنشأ الزبير بين بيت عمته خديجة بنت خويلد، وبين بيت أمه صفية بنت عبد المطلب عمّة الرسول.

3- زيد بن حارثة، وذلك أنه لما قدم حكيم بن حزام من الشام برقيق فيهم زيد بن حارثة دخل على عمته خديجة، وهي يومئذ عند رسول الله قبل البعثة، فقال لها: اختاري يا عمة أي هؤلاء الغلمان شئت فهو لك، فاختارت زيدا فأخذته، فرآه رسول الله عندها، فاستوهبه منها، فوهبته له، فأعتقه رسول الله وتبناه، وذلك قبل أن يوحى إليه، فكان بمثابة الابن للسيدة خديجة، ورعته خير رعاية.

وكانت لتربية السيدة خديجة الأثر العظيم في سرعة إسلام هؤلاء

الثلاثة الذين أسلموا مباشرة بعدها رغم صغر سنهم وكانوا

جميعاً عمداً لهذا الدين.

سَلْطَان

وفاء النبي خديجة

❖ كان من صور وفاء النبي ﷺ لأم المؤمنين خديجة، أنه كان كثير الذكر لها، ويكثر الثناء عليها، ومدحها بعد وفاتها أمام زوجاته، ففي **الصحيحين** من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: اسْتَأْذَنْتُ هَالَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتِ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَاعَ (هذا الفعل إن جاء مع الشر فيعنى الفزع وإن جاء مع الخير فمعناه ارتاح، فهو هنا بمعنى فارتاح)، فَقَالَ: "اللَّهُمَّ هَالَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ"، فَغَرْتُ فَقُلْتُ: مَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمْرَاءَ الشَّدَقِينَ (أى سقطت أسنانها لكبر سنها حتى ظهرت الحمرة في فكها، وهذا كناية عن كونها عجوزاً)، هَلَكْتُ فِي الدَّهْرِ، فَأَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا. فقال ﷺ: "مَا أَبَدَلَنِي اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنْتَ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَأَسْتَنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادُ النِّسَاءِ"

❖ ومن وفائه صلى الله عليه وسلم لها أنه كان يشتري الشاة فيذبحها ثم يبعث بها لصواحب خديجة رضي الله عنها ؛ فقد روى **البخاري** **ومسلم** في صحيحيهما من حديث عائشة- رضي الله عنها - قالت: مَا غَرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْتِرُ ذِكْرَهَا،

وَرَبِّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يَقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرَبِّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةً إِلَّا خَدِيجَةَ، فَيَقُولُ: "إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ". وفي رواية في الصحيح: "إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا".

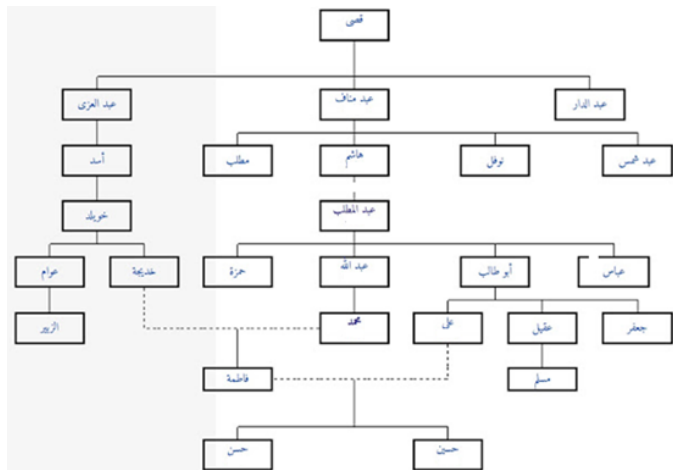
❖ بل كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكرم كل من كان له علاقة بخديجة ولو علاقة سطحية، فقد روى ابن الأعرابي في معجمه عن أم المؤمنين عائشة قالت: جاءت عجوز إلى النبي وهو عندي، فقال لها رسول الله: من أنتِ؟، فقالت: أنا جثامة المزنية، فقال: بل أنتِ حَسَانَةُ المزنية، كيف أنتم، كيف حالكم، كيف كنتم بعدنا؟ قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله. فلما خرجت قلت: يا رسول الله، تُقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟! فقال:

إِنَّمَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ، وَإِنْ حَسَنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ.

❖ ومن جميل ما ذكر في هذا الباب ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده عن عائشة زوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعد غزوة بدر، بعثت زينب بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فداء أبي العاص بن الربيع (وكانت زينب لا تزال بمكة)، وكان أبو العاص بن الربيع - زوج زينب - بين الأسارى، وكان الإسلام قد فرق بينه وبينها، وأرادت زينب - الوفية بنت الوفية - أن تنقذ زوجها من الأسر، لعل الله يشرح صدره للإسلام.

فبعثت بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين تزوجها، قالت: فلما رآها رسول الله رق لها رقاً شديداً ، وتذكر خديجة، فقال: **إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها قلاتها فافعلوا، فقالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه وردوا عليها القلادة.**

وقد وعد أبو العاص الرسول ﷺ مقابل ذلك أن يرسل إليه زينب بمجرد وصوله إلى مكة، وبالفعل وقى أبو العاص بما وعد، وخرجت زينب إلى المدينة بصحبة كنانة بن الربيع (ابن خالتها الثاني وشقيق زوجها أبي العاص بن الربيع) كما ذكرنا ذلك تفصيلاً في الكتيب الخاص بأبي سفيان، حيث لذلك قصة مفصلة تراجع هناك.



وفاة السيدة خديجة

توفيت السيدة خديجة في السنة العاشرة من البعثة، بعد المقاطعة التي كانت لبني هاشم، وكان ذلك بعد وفاة أبي طالب ، عمّ الرسول ﷺ بمدة قصيرة، ولذلك سمي بعض المؤرخين هذا العام بعام الحزن؛ لما كان فيه من تتابع الأحزان على النبي ﷺ ؛ بموت عمّه أولاً ، ثم زوجته السيدة خديجة رضی الله عنها.



كلمة أخيرة (الزوجة الصالحة)

السيدة خديجة هي سيدة الزوجات إلى يوم الدين، ستظل دائماً في القمة حين الحديث عن الزوجة الحنون التي تشارك زوجها حياته في السراء والضراء؛ كانت رضى الله عنها سكتاً له من أذى المشركين، وعقلاً راجحاً يعود إليه إذا اعترته حيرة قبل البعثة وبعدها، فما من رؤيا إلا وقصها على خديجة، وما من همٍ إلا بثه لخديجة.

يقول الشيخ محمد الغزالي: "إن خديجة من نعم الله الجليلة على محمد ﷺ، فقد آزرته في أخرج الأوقات، وأعانتة على إبلاغ رسالته، وشاركتة مغارم الجهاد المر، وواسته بنفسها ومالها فهي صديقة النساء، حنت على رجلها ساعة القلق، وكانت نسمة سلام وبر، رطبت جبينه المتصعب من آثار الوحي، وبقيت ربع قرن معه، تحترم قبل الرسالة تأملهُ وعزلته وشمائله، وتحمل بعد الرسالة كيد الخصوم، وآلام الحصار، ومتاعب الدعوة. رضى الله عنها وأرضاها.

وأحاديث الرسول ﷺ في الزوجة الصالحة كثيرة، فمنها قوله ﷺ: من سعادة ابن آدم: الزوجة الصالحة، والمركب الصالح، والمسكن الواسع. ومنها قوله ﷺ: الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة.

وقد تحققت في السيدة خديجة كل الصفات السابقة التي وردت في أحاديث رسول الله ﷺ.